السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وقال عكرمة
معناه اخصاء البهايم اي في غير الماكول وفي الماكول الكبير اما الماكول الصغير
فانه يجوز ويلحق بالخصي المحرم كل تغيير محرم كالوشم ذلك اي الشان
العظيم الدين القيم اي المستقيم الذي لا عوج فيه توحيد الله تعالى
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين المستقيم لعدم تدبرهم وقوله
تعالى منيبين اي راجعين اليه تعالى فيما امر به ونهي عنه حال من
فاعل اقم قال الزمخشري فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت
خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب
لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص
واتقوه اي خافوه فانكم وان عبدتموه فلا تامنوا ان تزيغوا عن سبيله
واقيموا الصلاة اي داوموا عليها وعلى ادابها في اوقاتها ولا تكونوا من المشركين
اي لا تكونوا ممن يدخل في عدادهم بموادة ومعاشرة او عمل تشابهونهم
فيه فانه من تشبه بقوم فهو منهم وهو عام في كل شركة سواء
كان بعبادة صنم او نار او غير ذلك وقوله تعالى من الذين بدل من المشركين
باعادة الجار فرقوا دينهم اي الذي هو الفطرة الاولى فعبد كل قوم منهم
شيا ودانوا دينا غير دين من سواهم وهو معنى وكانوا شيعا اي فرقا
متخالفين كل واحدة منهم تشايع من دان بدينها على من خالفهم
حتى كفر بعضهم بعضا واستباحوا الدماء والاموال فعلم قطعا انهم
كلهم ليسوا على الحق وقرا حمزة والكسائي بالف بعد الفا وتخفيف الراء
والباقون بغير الف وتشديد الراء فعلى القراءة الاولى فارقوا اي تركوا دينهم
الذي امروا به ولما كان هذا امرا يتعجب من وقوعه زاد عجبا بقوله تعالى
استينافا كل حزب اي كل منهم بما لديهم اي عندهم فرحون اي
مسرورون ظنا انهم صادفوا الحق وفازوا به دون غيرهم ولما بين
تعالى التوحيد بالدليل وبالمثل بين ان لهم حالة يعرفون بها وان كانوا
ينكرونها في وقت وهي حالة الشدة بقوله تعالى واذا مس الناس ضر اي قحط
وشدة دعوا ربهم اي الذي لم يشركه في الاحسان اليهم احد
منيبين اي راجعين من جميع ضلالهم اليه دون غيره علما منهم
بانه لا فرج لهم عند شيء غيره قال الرازي في اللوامع في اواخر العنكبوت
وهذا دليل على ان معرفة الرب في فطرة كل انسان وانهم ان غفلوا في
السراء فلا شك انهم يلوذون اليه في حال الضراء ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي
خلاصا من ذلك الضر اذا فريق منهم بربهم اي المحسن اليهم دايما المجدد لهم
هذا الاحسان من هذا الضر اي فاجاء فريق منهم الاشراك بربهم الذي
عافاهم واذا للمفاجاة وقعت جواب الشرط لانها كالفاء في انها للتعقيب

يشركون

ولا تنفع

ولا تنفع اول كلام وقد تجامعها الفاء ابتداء ان قيل ما الحكمة في قوله هنا اذا
فريق منهم وقال في العنكبوت فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ولم
يقل فريق اجيب بان المذكور هناك غير معين وهو ما يكون من هول
البحر والمتخلص منه بالنسبة الى الخلق قليل والذي لا يشرك منهم
بعد الخلاص فرقة منهم فهم في غاية القلة فلم يجعل المشركين فريقا
لقلة من خرج من الشرك واما المذكور هنا الضر مطلقا فيتناول ضر
البحر والامراض والاهوال والمتخلص من انواع الضر خلق كثير بل جميع الناس
قد يكونون قد وقعوا في ضر ما فتخلصوا منه والذي لا يبقى بعد الخلاص
مشركا من جميع الانواع فهو خلق عظيم وهو جميع المسلمين فانهم تخلصوا
من ضر ولم يبقوا مشركين واما المسلمون فلم يتخلصوا من ضر البحر
باجمعهم فلما كان الناجي من الضر المؤمن جمعا كثيرا سمي الباقي فريقا
وقوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم يجوز ان تكون اللام فيه لام كي وان تكون
لام الامر ومعناه التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ثم خاطب هؤلاء
الذين فعلوا هذا خطاب تهديد بقوله تعالى فتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة
تمتعكم في الاخرة وفي هذا التفات من الغيبة ام انزلنا عليهم سلطانا اي
دليلا واضحا قاهرا او ذا سلطان اي ملك معه برهان فقوله تعالى فهو
يتكلم على الاول كلاما مجازيا وعلى الثاني كلاما حقيقيا وعلى كلا الحالين
هو جواب للاستفهام الذي تضمنته ام المنقطعة بما اي بصحة ما كانوا به
يشركون اي يامرهم بالاشراك بحيث لا يجدوا بدا من متابعته لنزول
عنهم الملامة وهذا الاستفهام بمعنى الانكار اي ما انزلنا بما يقولون
سلطانا قال ابن عباس حجة وعذرا وقال قتادة كتابا فهو يتكلم بما
كانوا به يشركون اي ينطق بشركهم ولما بين تعالى حال المشرك الظاهر
شركه بين تعالى حال المشرك الذي دونه وهو من تكون عبادته للدنيا بقوله
تعالى واذا معبرا باداة التحقيق اشارة الى ان الرحمة اكثر من النقمة واسند
الفعل اليه في مقام العظمة اشارة الى سعة جوده فقال اذقنا الناس
رحمة اي نعمة من خصب وكثرة مطر وغنا ونحوه لا سبب لها الا رحمتنا
فرحوا بها اي فرح بطر مطمئنين من زوالها ناسين شكر من انعم بها ولا
ينبغي ان يكون كذلك فان قيل الفرح بالرحمة مامور به قال تعالى بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وههنا ذمهم على الفرح بالرحمة اجيب بانه قال
هناك فرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله وههنا فرحوا بنفس
الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم اذا كان
من غير الله تعالى وان تصبهم سيئة اي شدة من جدب وقلة مطر وفقر
ونحوه بما قدمت ايديهم من السيئات اذا هم يقنطون اي ييأسون

Copyright © King Saud University